بصمات العولمة على المدينة العراقية

أ.د. مضر خليل عمر

للعولمة تاثير كبير على مختلف ارجاء العالم ، بمناطقه الحضرية والريفية ، صغيرها وكبيرها ، و بمختلف اصقاع الارض بدون استثناء . جميعنا قد لاحظ التغيرات في مدننا بعد تسعينات القرن الماضي ، و بعد 2003 على وجه التحديد . جغرافيا ، كيف اثرت العولمة على التركيب الداخلي لمدننا ؟ وهل تباين التاثير بين المدن ؟ وهل كان التاثير متماثل بين ربوع كردستان و بقية العراق ؟ هذا ما احببت ان اثيره في هذا المقال ، داعيا زملائي الجغرافيين الى دراسته وتاشير تاثير العولمة على حياتنا ، عامة ، و مدننا على وجه الخصوص . استعنت بكتابة هذا المقال على الذكاء الاصطناعي .

ما هي العولمة؟
وكيف اثرت على التركيب الداخلي للمدن؟

تعريف العولمة:

هي انفتاح العالم على بعضه البعض في الاقتصاد والثقافة والاتصال، بحيث تصبح المدينة المحلية جزءاً من شبكة مدن عالمية، وبهذا ، تتشابه المدن في كل العالم في الشكل والاستهلاك ونمط الحياة.

كيف اثرت العولمة على التركيب الداخلي للمدينة؟

التركيب الداخلي للمدينة هو توزيع الاحياء والاسواق والمناطق الصناعية والسكنية داخلها. قلبت العولمة هذا التركيب ليكون بالسياق المبين في ادناه :

(1) نقلها من مدينة بمركز تجاري واحد CBD الى مدينة متعددة المراكز: كان للمدينة مركز تجاري واحد هو السوق والجامع. ظهرت اليوم المولات والمجمعات التجارية في الاطراف ومختلف ارجاء المدينة ، فضعف دور المركز القديم وفقد مكانته تجاريا واجتماعيا .

(2) حولها من مدينة منتجة اقتصاديا الى مدينة استهلاك: كانت المدينة تنتج، اصبحت اليوم تستهلك بضائع عالمية، فقد اختفت الورش والحرف الصناعية لتحل مكانها المولات بمنتجات من مختلف ارجاء العالم .

(3) ظهور الاحياء السكنية المغلقة: الكومباوندات والاحياء الفاخرة المنعزلة، التي هي نسخة مستوردة لا تشبه المدينة العراقية اصلا ، ولم تعرفها سابقا .

(4) تآكل الاماكن العامة وترديها العمراني: الشارع الذي كان مكاناً للقاء، اضحى مكاناً لوقوف السيارات ونشر الاعلانات العالمية.

(5) توحيد الشكل العمراني: بما ان الاستيراد مفتوح على الاخر ، لذا ، نجد الزجاج نفسه ، والبرج نفسه ، و المول نفسه في بغداد والحلة وبعقوبة ودبي، وفي كل مكان . لقد فقدت المدينة هويتها الشخصية التي عرفت بها ردحا من الزمن .

الخلاصة: **العولمة حولت المدينة من كائن محلي له روحه و شخصيته ، الى سلعة عالمية لها شكل موحد تقريبا** .

كيف كان التركيب الداخلي للمدن العراقية ونمط الحياة قبل العولمة؟
وما التغييرات التي حدثت؟

قبل العولمة - المدينة العراقية التقليدية:

كانت المدينة العراقية مثل الحلة وبعقوبة وبغداد القديمة تتميز بتركيب عمراني داخلي واضح:

1- المركز: فيه الجامع والسوق المسقف، وهو قلب المدينة الاجتماعي والاقتصادي.
2- حول المركز: تجد الجيرات السكنية، كل محلة لها جامعها وسوقها الصغير ومختارها، والناس يعرفون بعضهم البعض .
3- الازقة الضيقة: تحمي المارة من الشمس وتحقق الخصوصية والامان للسكان .
4- البيت ذو الفناء الداخلي - الحوش: هو مركز الحياة وينبوعها الحي، يفصل بين الخاص والعام.
5- اطراف المدينة: بساتين وحقول، وهي رئة المدينة ومصدر غذائها واماكن التسلية والترويح .
6- العلاقة قوية: الجار اخ لجاره ، والسوق مكان للقاء الاجتماعي ، وليس للشراء والبيع فقط.

بعد العولمة - المدينة العراقية الحالية:

(1) المركز القديم: تحول الى مخازن ومحلات رثة، وهجره السكان الاصليون.
(2) المحلة (الجيرة السكنية) : تفككت، حيث دخل الغرباء، فاختفت الجيرة بحياتها الاجتماعية و قيمها الاخلاقية .
(3) البيت: تحول من الحوش مفتوح على الداخل مغلق على الخارج ، ثم مغلق على الداخل مفتوح على الخارج (محاط بالحديقة) ، وصولا الى السكن العمودي في شقة مكشوفة بلا خصوصية.
(4) الاطراف: ابتلعت البساتين وتحولت الى احياء عشوائية وكومباوندات.
(5) الشارع: تحول من مكان للمشي ولعب الاطفال الى مكان للازدحام والسيارات.
(6) الوظيفة: اختفت الحرف اليدوية، وظهرت وظائف خدمية هشة.

العوامل الذاتية والخارجية التي ساعدت في احداث التغيير

العامل	الخارجي	الذاتي
اقتصادي	دخول الشركات و البضائع المستوردة	ضعف الوعي بالتراث ، كونه قديم ومتخلف
التقدم التقني	الانترنيت والستلايت و الموبايل غيرت ذوق الشباب	غياب التخطيط ، لم تعد البلدية تمتلك رؤية للمدينة ومستقبلها
نموذج العمران الغربي	المول والبرج والكومباوند كرمز للتحضر	الطموح للمظاهر: رغبة الساكن في تقليد النمط العالمي
المركزية	قرارات بغداد تفرض على المدن جميعا	فساد وضعف القانون: سمح بالتجاوز على البساتين والتراث
النقطة الجوهرية	العولمة لم تفرض نفسها بالقوة فقط، بل وجدت ارضاً هشة داخل المدينة تقبلها.	

مقارنة بين التركيب الداخلي للمدينة العراقية سابقاً وحالياً

جانب المقارنة	قبل العولمة	بعد العولمة
المركز	مركز واحد قوي: الجامع والسوق	مراكز متعددة ضعيفة: مولات في الاطراف
السكن	بيت الحوش، افقي، خصوصية عالية	شقة عمودية، كثافة عالية، خصوصية منخفضة
النسيج العمراني	متراص، ازقة ضيقة، متكيف مع المناخ	مفكك، شوارع واسعة، غير متكيف مع المناخ
الاقتصاد	انتاجي: حرف، زراعة، اسواق محلية	استهلاكي: مولات، استيراد، وظائف خدمية
العلاقات الاجتماعية	قوية، محلة، جيرة، ثقة	ضعيفة، عزلة، فردانية، انعدام ثقة
الاماكن العامة	ساحة، جامع، سوق، شط النهر	نادرة، مهملة، او مغلقة ومدفوعة الثمن
الهوية	واضحة، لكل مدينة شخصية	مشوهة، كل المدن متشابهة
البيئة	بساتين، خضرة، هواء نقي	تجريف، تلوث، ازدحام، حرارة
الانتماء	عالي، الساكن فخور بمدينته	منخفض، استلاب حضري مرتفع

الخلاصة العلمية: تحولت المدينة العراقية من مدينة محلية منتجة متماسكة الى مدينة عالمية مستهلكة مفككة.

العولمة واثرها على التركيب الداخلي للمدن العراقية
الحلة وبعقوبة انموذجا

المقدمة:

لماذا استلبت مدننا؟ الجواب هو العولمة. فالعولمة لم تبق في الاقتصاد والاعلام، بل دخلت الى البيت والشارع والمحلة. وقد كانت المدينة العراقية قبل العولمة مدينة متماسكة لها قلب واحد وروح واحدة، ثم تحولت بعد العولمة الى مدينة مفككة لها مراكز متعددة ولا روح لها. وهذا المقال يتتبع هذا التحول في مدينتي الحلة وبعقوبة.

مفهوم العولمة وابعادها:

التعريف الاجرائي للدراسة: العولمة هي عملية اندماج المدينة المحلية في الشبكة العالمية اقتصادياً وثقافياً وعمرانياً، بحيث تتشابه المدن في الشكل والاستهلاك رغم اختلاف تاريخها.

ابعاد العولمة:

- البعد الاقتصادي: حرية التجارة، دخول الشركات العالمية، تحول الاقتصاد من الانتاج الى الاستهلاك.
- البعد الثقافي: انتشار نمط حياة واحد عبر الاعلام والانترنت، وتغير الذوق واللباس والغذاء.
- البعد العمراني: انتشار نموذج واحد للبناء: البرج الزجاجي، المول، الكومباوند، الشقة العمودية.
- البعد التكنولوجي: الموبايل والانترنت جعلا العالم قرية، لكنهما جعلا الجار غريباً.

التركيب الداخلي للمدينة العراقية قبل العولمة:

كان التركيب الداخلي للمدينة العراقية يقوم على ثلاثة مبادئ: المركزية، الخصوصية، التكامل.

أ. المركز: كان الجامع والسوق المسقف هو قلب المدينة. كل الطرق تؤدي اليه. فيه تلتقي الناس للصلاة والتجارة والاخبار.

ب. المحلات السكنية: حول المركز كانت المحلات مثل محلة الجامعين في الحلة، ومحلة السراي في بعقوبة. كل محلة مكتفية بذاتها: جامع، سوق صغير، فرن، مختار. والجيرة فيها قوية.

ج. البيت العراقي: بيت الحوش ذو الفناء الداخلي، يفصل بين الخاص والعام، ويتكيف مع حرارة الصيف.

د. الاطراف: بساتين النخيل والبرتقال، وهي ليست فراغاً بل رئة اقتصادية وبيئية. بساتين بعقوبة كانت مصدر رزق وهوية.

هـ. العلاقة بين الاجزاء: كانت المدينة كالجسد الواحد، المركز قلبها، والمحلات اعضاؤها، والبساتين رئتها.

التغييرات التي احدثتها العولمة في التركيب الداخلي:

- تآكل المركز التاريخي: ضعف المركز القديم في مدينتي الحلة وبعقوبة، تحولت محلاته الى مخازن، وهجره السكان الى الاطراف. وظهرت مراكز جديدة: المولات على الطرق الرئيسية.
- تفكك المحلة: دخلت ثقافة الفردانية، واختفت الجيرة. اصبح الساكن لا يعرف جاره، واصبحت المحلة مجرد عنوان بريدي.
- التحول من البيت الافقي الى الشقة العمودية: اختفى الحوش، وظهرت العمارات والشقق المتشابهة التي لا تحترم الخصوصية ولا المناخ.
- تجريف البساتين: وهذا اخطر تغيير في بعقوبة. تحولت بساتين البرتقال الى احياء سكنية عشوائية وكومباوندات، ففقدت المدينة هويتها ورئتها.
- من مدينة انتاج الى مدينة استهلاك: اختفت الحرف اليدوية في الحلة، واختفت الزراعة في بعقوبة، وحلت محلها محلات الاستيراد والمولات.
- ظهور الاحياء المغلقة: الكومباوندات، وهي جزر معزولة للاغنياء، تزيد التفاوت الاجتماعي وتقتل فكرة المدينة للجميع.

العوامل التي ساعدت على التغيير في المدن العراقية:

أ. العوامل الخارجية:

1) العولمة الاقتصادية ودخول البضائع المستوردة
2) الثورة التكنولوجية والاعلام
3) الحروب والحصار وتدمير البنية التحتية
4) النموذج الغربي للعمران كرمز للتحضر

ب. العوامل الذاتية - الداخلية:

1) ضعف الوعي بالتراث وعد القديم تخلفاً
2) الهجرة الكثيفة من الريف الى المدينة
3) غياب التخطيط وضعف البلدية

4) الفساد الاداري والتجاوز على القانون
5) رغبة الساكن نفسه في تقليد النمط العالمي
المعادلة التي تفسر التغيير: عولمة قوية + مدينة هشة = استلاب حضري

مقارنة بين التركيب الداخلي سابقاً وحالياً - الحلة وبعقوبة انموذجا :

جانب المقارنة	الحلة		بعقوبة	
	سابقا	حاليا	سابقا	حاليا
المركز	سوق وجامع قوي	مركز ضعيف ومزدحم	سراي وسوق قوي	مركز مهمش
السكن	بيوت ، حوش	عمارات وشقق	بيوت بساتين	احياء عشوائية
الاقتصاد	حرف وزراعة	استيراد وخدمات	زراعة برتقال	استهلاك واعتماد على بغداد
البيئة	شط الحلة نظيف	شط مهمل	بساتين خضراء	تجريف واسع
الانتماء	عالي جداً	متوسط منخفض	عالي جداً	منخفض جداً

<u>التحليل المقارن</u>: الحلة فقدت هويتها بسبب اهمال تراثها، وبعقوبة فقدت هويتها بسبب تجريف بساتينها. كلاهما وصل الى النتيجة نفسها : الاستلاب، لكن بطريق مختلف.

<u>خلاصة:</u>.

تحولت المدينة العراقية من مدينة محلية منتجة متماسكة الى مدينة عالمية مستهلكة مفككة. لم تكن العولمة السبب الوحيد، بل كانت العامل الخارجي الذي التقى مع هشاشة داخلية فأنتج الاستلاب ومسخ الشخصية .